

رَأْيَاتُنَا
كِرِيْسِيْتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِحِ وَالْإِطْلَاعِ)

الْبَيْتُ الْأَعْوَجُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبحاثنا ككريسي

البيت الأعوج

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٤٩

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: جهاد الكردي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٤٩ بعنوان

Crooked House

Copyright Agatha Christie Mallowan 1949

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة

٢٠٢٠

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفدّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون باستغراب: لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال، إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص (وإن بدت غير ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً) أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني، أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، ومن ثمّ لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلاث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يَمَلَّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكنَّ مَنْ قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيَّب عنه بعض التفاصيل المهمة، كما فوّت عليه الاستمتاع بكثير من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذِّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثيرٌ منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحبكة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نسقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمي بطلي أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكانهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقلّ حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يَصوِّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطع كاملةً منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبيّن حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبّر عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثيرٌ من المتأدّبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها، فمسحوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القراء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثوا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثة كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لمّا رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرَف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوا إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجم بعدُ إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

* * *

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلف) ففقدنا معهم اتفاقاً ووقعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفدنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العاملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاية ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة أُخضعت الترجمات لمراجعة كاملة دقيقة لكل نص مترجم؛ أسلوبياً ولغوياً ونحوياً وإملائياً، مع العناية بالتفكير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العملَ واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفِّذَ هذا العمل لدى أفضل

مراكز الصف، وبُذِل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراء لميول كثير من القراء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجعةُ بعد المراجعةُ للنص النهائي المصنوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاء الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عمل ممكن يطيقه الجهد البشري.

* * *

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب العلم ولم نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالبٌ -إذا عمل- بأن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغانا كريستي من الجمال والرقّي ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجم- في النص المُعرَّب.

وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديراً بالحصول على الأفضل. وهذا هو بالذات ما سعينا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفقنا؟ نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خيرُ حَكَم.

الأجيال

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجْنَا اعْتِمَادَ الفصاحة بلا تكلّف، فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «السَّلْطَة» و«الكُشْكُ»، ومثل قولهم: «سَرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرفه من عمله) و«أشَرَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخَلَطُ فيه بين المذكور

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، والرأس مذكّر لا يجوز تأنيثه (كما يشيع في الكتابات المصرية خاصة).

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درج على الألسنة والأفلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام، مثل قولهم: «خصيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«جاؤوا سوياً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سوياً» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمِعَ، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي أسماء الشهور اخترنا كتابة الاسم العربي للشهر متبوعاً بالاسم الأعجمي بين قوسين، لأن من بلدان العرب (مع الأسف) من لا يعرف أهلها أسماء الشهور العربية، كأهل مصر وأكثر بلاد الجزيرة العربية وبلدان المغرب العربي كلها. فنكتبها بهذه الطريقة: حزيران (يونيو)، تشرين الثاني (نوفمبر)، إلخ.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها، فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «مما» (من ما) و«عمّا» (عن ما) و«إلّا» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثير من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: «وهو أقرب إلى الصواب». وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثبَّت همزات القطع وتُحدَف همزات الوصل، وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كليهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً، وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضممة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس، كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشدَّة -خصوصاً- في غير المواضع المدركة سليقةً، إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة، فهي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للتفهم»، بها يتم المعنى ويَصِحُّ المقصود.

وَاتَّبَعْنَا فِي تَحْدِيدِ الْعَلَامَاتِ وَمَوَاضِعِهَا الْأَصُولَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا أَهْلُ
الْبَحْثِ وَاللُّغَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ زَكِي بَاشَا فِي كِتَابِهِ
الْقِيمُ «التَّرْقِيمُ وَعَلَامَاتُهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» مَعَ بَعْضِ التَّصْرِيفِ بِمَا
يُؤَافِقُ الْأَصُولَ الْحَدِيثَةَ الْمُتَّبَعَةَ فِي عَالَمِ النُّشْرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

وَأخيراً، نَظَرْنَا فِي كِتَابَةِ الْحُرُوفِ الْأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لِأَصْوَاتِهَا
مِقَابِلٌ فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، فَوَجَدْنَا الْقَوْمَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهَا اخْتِلَافاً كَبِيراً.

فَأَمَّا الْبَاءُ الشَّدِيدَةُ (P) فَقَدْ كَتَبُوهَا بَاءً بِثَلَاثِ نِقَاطٍ، فَاعْتَمَدْنَا
لِهَا الْبَاءَ الْعَادِيَّةَ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْمَتَّبِعِ فِي الصَّفِّ وَالطَّبَاعَةِ تَوْفِيرُ بَاءٍ
مِثْلَتَهُ، كَمَا أَنَّ هَذَا الرَّسْمَ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ وَلَا هُوَ مُعْتَمَدٌ مِنْ جِهَةِ
عِلْمِيَّةِ ذَاتِ شَأْنٍ كَمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَكَذَلِكَ فَعَلْنَا فِي الْحَرْفِ
(V) فَكَتَبْنَاهُ فَاءً عَادِيَّةً بِنِقْطَةٍ وَاحِدَةٍ.

أَمَّا الْحَرْفُ الَّذِي أَثَارَ أَكْبَرَ اضْطِرَابٍ فَهُوَ الْحَرْفُ (G) الَّذِي
يَسْمُونَهُ «جِيمًا مِصْرِيَّةً». فَلَأَجْلِ نَطْقِ أَهْلِ مِصْرٍ الْجِيمِ بِهَذَا الصَّوْتِ
اعْتَمَدَ لَهُ كَثِيرُونَ صُورَةَ الْجِيمِ، وَلَكِنْ لَوْ تَأَمَّلْتَ مَخْرَجَ هَذَا الْحَرْفِ
وَمَخْرَجَ الْجِيمِ لَوَجَدْتَهُمَا مُتْبَاعِدَيْنِ تَبَاعُدًا بَيِّنًا، وَلَوَجَدْتَ أَنَّ مَا
يُقَارِبُهُ فِي لُغَتِنَا مَخْرَجًا (فِي النُّطْقِ) هِيَ الْغَيْنُ وَالْقَافُ وَالْكَافُ.
وَقَدْ كَانَ هَذَا الصَّوْتُ يُكْتَبُ -فِيمَا نُقِلَ قَدِيمًا عَنِ الْفَارْسِيَّةِ- كَافًا
فَوْقَهَا خَطًّا، وَهِيَ صُورَةٌ لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهَا فَمَاتَتْ وَانْدَثَرَتْ. وَأَهْلُ
الْخَلِيجِ يَكْتُبُونَ -الْيَوْمَ- هَذَا الصَّوْتُ قَافًا، وَيَكْتُبُهُ آخَرُونَ غَيْنًا،
وَهُوَ مَا اخْتَرْنَاهُ لِمَا وَجَدْنَا مِنْ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ. وَانظُرْ كَيْفَ كَتَبُوا
أَكْثَرَ مَا عَرَّبُوا مِنْ أَسْمَاءِ الْبُلْدَانِ كَذَلِكَ فَقَالُوا: «الْبَرْتِغَالُ» وَ«غَانَا»
وَ«السَّنْغَالُ» وَ«بَلْغَارِيَا» وَ«غَرِينْتِش»... وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ كَثِيرٌ.

وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. واستثنينا من الكتابة بالعين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبة إليها (إنكليز وإنكليزية) لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا.

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقّعة (كما في: cat)، والألف المفخّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقّعة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعِي الياء فكتبناها ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings)، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيسْتِنْغْز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آمليْن أن يكون اجتهدنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب، فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغانا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَنْ كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها بليونَي (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغانا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغانا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها، فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين؛ جرّبي وسترين".

عندئذ كتبت أغانا كريستي أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو

للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين، وبعدها حبسها الناشر السابع في أدراجه لمدة ثمانية عشر شهراً متردداً في نشرها!

* * *

عاشت أغانا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرحٍ مُحبٌّ للحياة وأم ذكية تحب الطموح، وقد ظلت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تدم، فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغانا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغانا للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت مرة أخرى عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مألوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت فوق النيل» و«لقاء في بغداد» و«جريمة في بلاد الرافدين» و«موعد مع

الموت». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت
بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغانا كريستي عن نفسها فقالت: «لو سُئلت عن
ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل
ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم
أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى
السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره
الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها،
وأبغض المدن وازدحامها».

أما رواياتها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية
تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها
باحثةً عن دوافعها بعبقرية فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة»
بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجَل أو يسوء.
وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»،
و«الجريمة لا تفيد».

* * *

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما
بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «قضية ستايلز الغامضة»، ثم استمرّ
بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة. وهو محقق
بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكائه الخارق (النتائج عن
«الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان
ليس لهما مثل في بريطانيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه

الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسْتِنْغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الأنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

* * *

كتبت أغاثا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعا وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستَّ روايات طويلة رومنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيصة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ، إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٥٢.

أما سيرة حياتها التي كتبها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها) حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

الْبَيْتُ الْأَعْوَجُ

مقدمة المؤلفة

هذه القصة من أخصّ رواياتي المفضلة، وقد حفظتها سنين طويلة أفكر في أمرها وأعيد النظر فيها، أقول لنفسي: في يوم ما، في الوقت المناسب وحين أريد إمتاع نفسي حقاً، سوف أبدأ في كتابتها.

لقد كانت كتابة «البيت الأعوج» متعة خالصة، وأتساءل كثيراً: هل يظن الناس الذين يقرؤون الكتب أن التأليف عمل صعب أم متعة؟ فقد كان الناس يقولون لي مرة بعد أخرى: "لا بد أنك استمتعت بكتابة هذه القصة أو تلك؟"

أما هذه القصة فأبّت بعناد أن تخرج كما أتمنى، فشخصياتها بغیضة وعقدتها متشابكة من غير ضرورة والحوار متكلف. وربما لا يكون المؤلف أفضل من يحكم على عمله، لأن كل من قرأ رواية «البيت الأعوج» أحبها، ومن أجل ذلك أقول إنها واحدة من أفضل رواياتي.

لا أعرف كيف جاءني فكرة عائلة ليونايدز؟ فقد جاءت هكذا، ثم (كما يقول توبساي): "نَمَتْ وترعرعت".

إنني أشعر بأنني كنت ناسخة لهذه الفكرة ليس غير.

أغاثا كريستي

عرفتُ صوفيا ليونايدز أولَ مرة في مصر قبل نهاية الحرب العالمية. كانت تشغل منصباً إدارياً رفيعاً في إحدى دوائر وزارة الخارجية هناك، وقد عرفتُها في أثناء وظيفتي بصفة رسمية فأعجبت في الحال بكفاءتها التي أوصلتها إلى ذلك المنصب رغم صغر سنها، إذ كانت آنذاك في الثانية والعشرين من عمرها فحسب.

وإلى جانب حسن مظهرها كانت ذكية وصريحة تسهل محادثتها رغم ميلها إلى السخرية، فأصبحنا صديقين وأحببتها ورغبت في الزواج بها. كان ذلك حين تقرر نقلي للعمل في المشرق بعد خمود الحرب في أوروبا.

عزمت على هذا القرار بعدما تناولنا العشاء في فندق شبرد، فأقررت بحقيقة كنت أعرفها منذ زمن طويل، فقد أعجبتني منذ رأيته قبل الحرب. أعجبنى كل شيء رأيته فيها: الشعر الداكن الأجدع الذي كان يتشامخ إلى أعلى من جبهتها، والعيان الزرقاوان المفعمتان بالحيوية، والذقن البارز الصغير والأنف المستقيم، وثيابها الأنيقة.

كانت تبدو إنكليزية ممتلئة بالحيوية، وقد أعجبنى ذلك كثيراً بعد ثلاث سنين قضيتها غائباً عن بلدي. وأدركت أن صوفيا -رغم

حديثنا الطويل ومناقشة الأفكار فيما نحب وما نكره والمستقبل وأصدقائنا الأقرين - لم تذكر شيئاً عن بيتها وأسرتها. لقد عرفت كل شيء عني (فقد كانت مستمعة جيدة) لكنني لم أعرف عنها شيئاً! كنت أقدر أن لها الجذور الاجتماعية المعروفة لكنها لم تتحدث عنها قط، ولم أدرك هذه الحقيقة حتى تلك اللحظة.

سألته: فيم كنت تفكر؟

أجبتها بصدق: فيك.

- لقد عرفت.

- قد لا نلتقي ثانية قبل عامين، فلا أعرف متى أعود إلى إنكلترا، لكن أول شيء سأفعله حين أرجع إلى إنكلترا هو الذهاب لكي أراك وأطلب منك أن تتزوجيني.

تقبّلت صوفيا الأمر دون أن يطفرف لها جفن، وجلست تشرب القهوة دون أن تنظر إليّ. وشعرت بالعصبية قليلاً فقلت: اسمعي، سأفعل كل شيء إلا شيئاً واحداً. لن أطلب منك الزواج الآن، فربما ترفضيني فأرحل يائساً، وربما أحب امرأة أخرى قبيحة حتى أنتقم لغروري، وحتى لو وافقتِ فما عسانا أن نفعل إزاء هذا الأمر؟ نتزوج ثم نفترق في الحال؟ نعلن خطبتنا ثم نبقي على تلك الحال زمناً طويلاً؟

سكتُ قليلاً ثم مضيت قائلاً: لا أحتمل رؤيتك على هذه الحال، فقد تلتقين رجلاً غيري ثم تشعرين بأن عليك أن تكوني مخلصه لي. أحب أن أراك تعودين إلى وطنك حرة مستقلة لكي

تنظري حولك وتعرفني عالم ما بعد الحرب الجديد وتقرري ما
تريدينه من هذا العالم ، فالذي بيني وبينك سيبقى خالداً يا صوفيا...
لأنني لن أتزوج أي امرأة أخرى.

- وأنا أيضاً.

- هل تعرفين بماذا أشعر؟

همست صوفيا: لا ينبغي الغزل الآن.

- حبيبي ، ألا تفهمين؟ لقد حاولت أن لا أقول بأنني أحبك...

قاطعتني: أفهم يا تشارلز ، وأنا أحب أسلوبك الغريب. قد
تأتي لتراني حين تعود إن كنت تريد أن...

قاطعتها أنا هذه المرة: لا شك في ذلك.

- الشك يدخل كل القلوب يا تشارلز. قد يظهر أحياناً أمرٌ
غير محسوب ولا مقدّر يغير الأحداث كلها. تذكر أنك لا تعرف
شيئاً عني ، أليس كذلك؟

- بلى ، حتى إنني لا أعرف أين بيتكم في إنكلترا؟

- إنني أعيش في سوينلي دين.

أومأت برأسي حين ذكرت هذه الضاحية الشهيرة في لندن
التي تنهاى بثلاثة ملاعب غولف ، وأضافت هي بهدوء وصوت
مطمئن: في بيت صغير أعوج.

وضحكت فجفلة قليلاً ، ثم أردفت بجملته مقتبسة: «وكانوا
جميعاً يعيشون في بيت صغير أعوج»... هذه حالنا نحن ، بيتنا ليس

بيتاً صغيراً لكنه -حتماً- مشوّه الشكل وفي سطحه زوايا كثيرة.

- هل أنت من عائلة كبيرة؟ إخوتك وأخواتك؟

- أخ واحد وأخت واحدة، وأبي وأمي، وعمي وزوجته
وجدي وزوجته وخالة عجوز.

صحت وأنا مرتبك قليلاً: يا إلهي!

ضحكت صوفياً وقالت: نحن لا نعيش معاً، إلا أن الحرب
والغارات الجوية اضطرتنا أن نجتمع، لكنني لا أدري... ربما كان
أبناء العائلة يعيشون معاً في الروح تحت رقابة جدي وحمايته. إنه
رجل له شأنه، لقد تجاوز الثمانين من عمره، وهو ضئيل قصير
القامة لكن شخصيته قوية بدرجة غير عادية.

- يبدو أنه مثير للاهتمام.

- هو كذلك فعلاً. إنه يوناني من سميرنا، اسمه أريستايد
ليونايديز. ثم أضافت وعيناها تطرفان: وهو غني جداً.

- من يرثه بعد وفاته؟

- جدي سيقدر، ولن يؤثر فيه أي أسلوب أو يزحزحه. إنه
داهية. هل ستحبه يا ترى؟

- وهل تحببته أنت؟

- أكثر من أي شخص في الدنيا.

* * *

كان ذلك قبل سنتين من عودتي إلى بلدي. لم تكن سنوات
الغربة سهلة، وكنت أكتب إلى صوفيا وأسمع منها كثيراً، وكانت
رسائلها مثل رسائلي، رسائل صديقين حميمين لا رسائل حب،
فكانت هي تكثر من ذكر شؤون الحياة اليومية، لكنني كنت أعرف
أن مشاعر أحدنا تجاه الآخر كانت تزداد وتَقْوَى.

ثم عدت إلى إنكلترا في يوم هادئ كئيب من أيام أيلول
(سبتمبر) حيث بدت الأوراق على الأشجار ذهبية في ضوء المساء
وكانت الريح تعصف، وأرسلت لصوفيا برقية من المطار:

لقد عدت لتوّي. أرجو أن نتناول العشاء معاً هذا
المساء في «ماريو» الساعة التاسعة.

تشارلز

بعد ذلك بساعتين كنت أقرأ جريدة «التايمز» وأتفحص أعمدة
المواليد والزواج والوفيات، فوقع عيني على اسم ليونايديز:

في ١٩ أيلول مات أريستايد ليونايديز، زوج بريندا
ليونايديز المحب، عن عمر يناهز الثامنة والثمانين،
في منزل «ثري غيلز» في سوينلي دين.

ثم قرأت إعلاناً آخر:

مات أريستايد ليونايدز فجأة في مسكنه «ثري غيبلز»
في سوينلي دين. ينعاه أولاده وأحفاده المحبون
بعميق الأسى. تُرسل الورود إلى كنيسة القديس
إليرد في سوينلي دين.

أثار الإعلان استغرابي، فربما أدى خطأ من جانب المحررين
في الصحيفة إلى هذا الازدواج، لكن شغلي الشاغل كان صوفيا.
أرسلت إليها برقية ثانية على عجل:

قرأت لتوي خبر وفاة جدك. آسف جداً. متى أستطيع
رؤيتك؟ تشارلز.

وصلتني برقية من صوفيا في الساعة السادسة وأنا في بيت
أبي:

سأكون في «ماريو» في التاسعة ليلاً. صوفيا.

جعلتني فكرة لقاء صوفيا مرة أخرى عصبياً، وقد مرّ الوقت
ببطء يثير الجنون. كنت أنتظرها في مقهى ماريو قبل الموعد بثلاث
ساعة وتأخّرت هي عن الموعد خمس دقائق.

إن لقاء شخص مرة أخرى بعد انقطاع طويل مربكٌ إلى حد
ما، وإن يكن حاضراً في ذهنك طوال تلك الفترة. وحين دخلت
صوفيا من الباب الدوّار كان لقاءنا متكلفاً. كانت ترتدي ملابس
سوداء بسبب الحداد بلا ريب، وقد فاجأني أن صوفيا من الذين
يلبسون الأسود حقاً حداداً على قريب مات!

اتجهنا إلى طاولتنا وتحادثنا سريعاً بطريقة محمومة ونحن
نسأل عن الأصدقاء القدامى أيام كنا في القاهرة. وكان حديثنا
مجاملة لكنه طغى على الارتباك الذي ساد بداية اللقاء.

واسيتها بوفاة جدها فقالت صوفيا -بهذوء- إنها وقعت فجأة.
ثم انطلقنا إلى الذكريات مرة أخرى، وبدأت أشعر بالخوف من
شيء ما، شيء غير الارتباك الطبيعي من اللقاء ثانية بعد غيبة طويلة.

كان في صوفيا شيء غير طبيعي حتماً: هل تخبرني بأنها
عرفت رجلاً آخر غيري تهتم به أكثر مني وأن إحساسها بي كان
كله خداعاً؟ وساورني إحساس عميق بأن الأمر لم يكن كذلك،
ولكني فشلت في الاهتمام إلى احتمال آخر، وفي غضون ذلك
أكملنا حديثنا المصطنع.

ثم بدأ الحديث يتغير فجأة بعدما أحضر النادل القهوة وتراجع
وهو ينحني، فأنا أجلس الآن مع صوفيا كما كنا نفعل من قبل كثيراً
على طاولة صغيرة في مطعم، كأن سنوات الغربة التي عشناها لم
تكن أبداً.

قلت: صوفيا!

- تشارلز!

تنهدت عميقاً دلالة على الارتياح وقلت: أحمد الله على أن
هذا الأمر قد انتهى وولى. ما الذي أصابنا؟

- ربما كانت غلطتي، كنت حمقاء!

- هل الأمر طبيعي الآن؟

- أجل، إنه طبيعي الآن.

وابتسمنا، فقلت: حبيبتي، هل نتزوج قريباً؟

انطفأت ابتسامتها فأصابني الانقباض ثانية. قالت: ربما، لا أدري يا تشارلز إن كنت أستطيع الزواج بك.

- ولم لا يا صوفيا؟ ألأنك تشعرين بأني غريب؟ أتريدين وقتاً لتعتادي عليّ ثانية؟ هل عرفت رجلاً غريباً؟

هزت رأسها وقالت: لا، ليس كذلك.

ثم خفضت صوتها وقالت: بل بسبب موت جدي.

- موت جدك؟ لماذا؟ وما الفرق؟ إنك لا تقصدين أن امتناعك بسبب المال حتماً، أليس كذلك؟ وهل ترك جدك مالا؟ لكن الأمر يا عزيزتي...

ابتسمت ابتسامة خاطفة وقالت: إنه ليس المال. أظن أنك ستكون راغباً تماماً في أن تأخذني على حالتي الجديدة كما يقول المثل القديم، ثم إن جدي لم يخسر مالا في حياته.

- إذن فما الأمر؟

- أظن أن جدي لم يموت طبعياً يا تشارلز... ربما يكون قد قُتل.

- يا لها من فكرة غريبة! ما الذي جعلك تظنين أن جدك قُتل؟

- أنا لم أفكر فيها، بل إن الطبيب هو الذي يشكّ في الأمر.
إنه لم يوقع شهادة الوفاة، وسوف يشرح الأطباء الجثة فلعلّ في
الأمر شيئاً غير طبيعي.

لم أجادلها، لأنها فتاة ذكية جداً صاحبة آراء صائبة واستنتاجات
سليمة، بل قلت لها جاداً: قد يكون لشكوكهم أسبابها، ولو أن
لها أسباباً فكيف يؤثّر هذا فينا نحن الاثنين؟

- قد يؤثّر في حال من الأحوال، فأنت تعمل في السلك
الدبلوماسي. إنهم شديدو الاهتمام بأمر الزوجات. لا، أرجوك
لا تقل شيئاً يتفطر له قلبك. كأنك تريد أن تقول: "أريد أن يكون
زواجنا حسناً، لا ينبغي لأحدٍ منا أن يضحى من أجل الحب". فما
يدريك يا تشارلز؟ ربما يكون كل شيء طبيعياً.

- أياكون الطبيب قد ارتكب خطأ؟

- وإن لم يرتكب خطأ فلن يكون الأمر مهماً لو كان ذلك
الشخص هو الذي قتله.

- ماذا تقصدين يا صوفيا؟

- إنه أمر بغیض، لكنني أريد أن أكون صريحة.

وأدركتُ صوفيا كلماتي قبل أن أقولها، فقالت: لا يا تشارلز،
لن أقول شيئاً آخر. ربما قلت كثيراً من قبل، لكنني أصررت على
المجيء هنا ولقائك هذه الليلة لكي أراك بعيني وأفهمك. لن نفعل
شيئاً حتى تنجلي هذه المشكلة.

- خبريني عنها على الأقل.

- لا أريد يا تشارلز... لا أريدك أن ترى الأمر من زاويتي، بل أريد أن تكون نظرتك صواباً وأن ترى الأمر بطريقة صحيحة.

- وكيف أفعل ذلك؟

قالت وهي تنظر إليّ بعينين زرقاوين تبرقان بوهج غريب:
فلتسمعه من أبيك.

كنت قد أخبرت صوفيا -ونحن في القاهرة- أن أبي يعمل مساعد مفوض في شرطة سكتلنديارد، وهو ما زال كذلك. وعندما قالت كلمتها الأخيرة أحسست بالإحباط فقلت مستفسراً: إذن فالأمر سيئ لهذه الدرجة؟

- أظن ذلك. هل ترى رجلاً يطيل الجلوس إلى طاولة قرب الباب وحيداً؟ رجلاً وسيماً بليداً كان يعمل من قبل في الجيش؟ لقد كان هو نفسه على رصيف محطة سوينلي دين هذا المساء ساعة دخلت القطار.

- أتقصدين أنه تبعك إلى هنا؟

- نعم، أظن أننا جميعاً تحت الرقابة. لقد ألمحوا إلينا أن من الأفضل أن نمكث جميعاً في البيت، ولكنني عقدت العزم على رؤيتك.

وبرز ذقنها الصغير وهي تتكلم مشاكسة، ومضت قائلة: لقد خرجت من شبّاك الحمام وانزلت على أنبوب المياه!

- حبيتي!

- لكن الشرطة قديرون في عملهم. وهناك طبعاً البرقية التي أرسلتها لك... حسناً، لا تؤاخذني، إننا هنا معاً الآن لكن علينا أن نفرق من الآن فصاعداً.

وسكتت قليلاً ثم أضافت: ولسوء الحظ فإن أياً منا لا يشك بحب صاحبه له يا تشارلز.

- لا شك بتاتاً، ولا تقولي: "لسوء الحظ". لقد بقيت أنا وأنت على قيد الحياة أثناء الحرب العالمية ونجونا من الموت المفاجئ كثيراً، ولا أعلم كيف يدهم الموت عجزاً فجأة؟ كم كان عمره؟

- سبعة وثمانين عاماً.

- نعم، قرأت ذلك في جريدة «التايمز». ولو سألتني لقلت إنه مات في الشيخوخة، وإن أي طبيب يحترم نفسه سوف يرضى بهذه الحقيقة.

- لو كنت تعرف جدي لأسفّت على موته.

* * *

اهتممت على الدوام بعمل أبي في الشرطة، لكنني لم أتهيأ للحظة التي أكون فيها مهتماً به بشكل مباشر هكذا. ولم أكن قد رأيت الرجل العجوز بعد، فعندما وصلت البيت كان هو في الخارج. وبعدما اغتسلت وحلقت ذقني وغيّرت ثيابي خرجت من أجل صوفيا، وحين رجعت أخبرني غلوفر أنه كان في مكتبه.

كان يجلس وراء مكتبه عابساً يطالع كثيراً من الأوراق، وحين رأني داخلاً قفز عن مقعده مرحباً: تشارلز، لم أرك منذ زمن بعيد.

كان لقاؤنا بعد خمس سنوات من الحرب لقاءً يصيب أي فرنسي بخيبة أمل، والحقيقة أننا كان بيننا عاطفة اجتماع الشمل، فأنا والعجوز يحب بعضنا بعضاً كثيراً ويفهم بعضنا بعضاً جيداً.

قال أبي: أنا آسف لأنني كنت خارجاً حين وصلت هنا، إنني غارق في العمل حتى أذني. تباً لهذه القضية التي بدأت أدرسها الآن.

أسندت ظهري إلى الكرسي وسألته: قضية أريستايد ليونايديز؟

عبس العجوز وقطب حاجبيه ونظر إليّ نظرة تقدير، وقال

بلسان هادئ قوي: تشارلز، كيف عرفت بذلك؟!

- بلغتني معلومات.

- ما الأمر يا تشارلز؟ أخبرني.

- أخشى أن لا يعجبك كلامي! لقد لقيت صوفيا ليونايديز في القاهرة، وقد أحببتها، وسوف أتزوجها. التقينا هذه الليلة... لقد تعشّيت معي.

- تعشّيت معك؟ في لندن؟ وكيف خرجت؟ لقد طلبنا من أفراد العائلة أن لا يغادروا البيت.

- أجل، لكنها انزلت على أنبوب المياه من شبّاك الحمام.

ابتسم العجوز ابتسامة خاطفة وقال: تبدو فتاة داهية!

- لكن شرطتكم قديرون تماماً، فقد تبعها شرطي إلى مطعم ماريو، وسوف ترى أوصافي في البيانات التي بين يديك: الطول خمسة أقدام وأحد عشر إنشاً، الشعر بني، العينان عسلتان، بدلة كحلية مقلّمة...

نظر أبي إليّ نظرة قاسية وسألني: أهذا كلام جاد؟

- أجل، إنه كلام جاد يا أبي.

صمتنا برهة قصيرة، ثم سألته: وهل تمنع ذلك؟

- لم أكن لأمانع قبل أسبوع. إنها أسرة غنية جداً والفتاة سوف ترث المال، وأنت فتى بالغ عاقل راشد، ولكن...

- ماذا يا أبي؟

- سيكون الأمر طبيعياً لو...

- ماذا؟

- لو كان الذي فعلها هو ذلك الشخص.

للمرة الثانية أسمع العبارة ذاتها في تلك الليلة. بدأت أتشوق
لمعرفة التفاصيل وجملاء الموضوع. سألت: من هو ذلك الشخص؟

نظر إليّ نظرة حادة وقال: ماذا تعرف عن هذا الأمر؟

- لا شيء.

تساءل بدهشة: لا شيء؟ ألم تخبرك الفتاة؟

- لم تفعل، بل قالت إنها تحب أن أرى الأمر من وجهة
نظري من غير تأثير منها.

- لماذا؟

- أليس هذا واضحاً؟

- نعم، ليس واضحاً يا تشارلز.

وجعل أبي يروح ويجيء وهو ما يزال عابساً، ثم أشعل
سيغاره ونفث دخانه فعرفت أن الوالد العجوز انزعج. ثم فاجأني
بسؤال: ماذا تعرف عن العائلة؟

- أعرف أنها تتكون من الرجل العجوز والعديد من أبنائه

وأحفاده وأزواجهم... ولكنني لم أستوعب جميع أفراد هذه العائلة الكبيرة. ليتك توضح الصورة لي يا أبي.

قال وهو يجلس: حسناً، سوف أبدأ بالأب الكبير إريستايد ليونايدز، وقد وصل إلى إنكلترا وهو في الرابعة والعشرين.

- يوناني من سميرنا؟

- ها أنت تعلم هذا!

- نعم، لكن هذا هو كل ما أعرفه.

عندئذُ فتح الباب ودخل غلوفر ليقول إن رئيس المفتشين تافيرنر قد حضر، فقال أبي: إنه المسؤول عن القضية. فلندخله، لقد كان يدرس ملف العائلة وهو يعلم عن أفرادها أكثر مما أعلم.

وسألت أبي إن كانت دائرة الشرطة المحلية قد استدعت سكتلنديارد فقال: إنها من شأننا لأن سوينلي دين تقع في منطقة لندن الكبرى.

دخل رئيس المفتشين تافيرنر إلى الغرفة فأومأت برأسي محيياً، فقد كنت أعرفه منذ سنين، وحيّاني هو بحرارة وهنأني على عودتي سالماً.

ثم قال أبي: أنا أوضح الصورة لتشارلز، فإن أنا أخطأت فذكرني يا تافيرنر.

ثم استأنف يقول: وصل ليونايدز إلى لندن عام ١٨٤٤، حيث أنشأ مطعماً صغيراً في سوهو، وكان ناجحاً فأنشأ مطعماً

آخر، وما زال هكذا حتى صار يمتلك سبعة مطاعم أو ثمانية، وكانت كلها رابحة.

قال تافيرنر: لم يكن ليونايديز يخطئ في أي شيء يفعله.

فقال أبي: كانت فيه حاسة طبيعية. وسرعان ما أصبح وراء معظم مطاعم لندن الكبرى، ثم عمل في سوق التجهيزات الغذائية وكان عمله فيها ضخماً حقاً.

قال تافيرنر: وكان ليونايديز وراء بعض التجارات الأخرى أيضاً، مثل الثياب البالية ومتاجر الجواهر التقليدية وغيرها كثير... وكان رجلاً غير أمين.

قال تافيرنر الجملة الأخيرة بعد هنيهة من التفكير، فسألته قائلاً: أكان محتالاً؟

- لا، كان فيه عوج ولكن لم يكن محتالاً، وهو - وإن لم يخرج عن القانون - إلا أنه كان يفكر بأي أسلوب للالتفاف عليه. لقد جنى أرباحاً كثيرة بهذه الطريقة، وحتى في الحرب الأخيرة ورغم أنه كان أثناءها طاعناً في السن فإنه لم يفعل شيئاً غير قانوني، ولكنه كان إذا شرع في عمل يلتمس له في القانون مخرجاً ثم يكون قد انتقل إلى عملٍ غيره! أرجو أن تكون قد فهمت ما أعنيه.

قلت: إنه لا يبدو شخصية جذابة.

- من الغريب أنه كان جذاباً قوي الشخصية، حتى إنك لتشعر بذلك من لمحة واحدة. وإذا نظرت إليه لم ترَ ما يثير إعجابك، فقد كان قرماً قبيحاً لكنه ساحر، فما أكثر النساء اللاتي أحبينه!

قال أبي: لقد تزوج زواجاً يصدم السامع، تزوج ابنة إقطاعي في الريف صاحب أراضٍ لتربية الثعالب.

رفعت حاجبي من الدهشة وقلت: المال؟!!

هز العجوز رأسه وقال: لا، بل كان زواج حب. لقيته الفتاة لتبحث معه شأن بعض التجهيز الغذائي في حفل زفاف صديقة لها فوقعت في حبه، وسخط أبوها عليها لكنها ألحت في الزواج به. لقد قلت لك إن للرجل سحراً عجيباً جذبها، ويبدو أنها كانت قد سئمت من الرجال التقليديين حولها.

- وهل كان زواجهما سعيداً؟

- كان سعيداً جداً. ورغم أن أصدقاءهما المحترمين لم يخالطوهما فإن ذلك لم يكن يقلقهما، وعاشا بلا أصدقاء. وبنى زوجها بيتاً تنكره الطبيعة والعقل في سوينلي دين، وسكنا هناك حيث أنجبت له ثمانية أطفال. كان العجوز ليونايديز ذكياً حين اختار سوينلي دين لأنها كانت في بداية التحول إلى منطقة نموذجية راقية، فلم يكن فيها -بعد- ملعبا الغولف الثاني والثالث. وكان حولهما جماعة من السكان القدامى الذي كانوا يحبون حداقتهم كثيراً، وقد أحبوا جارتهم السيدة ليونايديز وأحبوا رجال المدينة الأغنياء الذين أتوا ليعيشوا بجوار السيد ليونايديز.

سكت أبي قليلاً ثم علّق قائلاً: أعتقد أنهم كانوا سعداء تماماً حتى ماتت السيدة في عام ١٩٠٥ بمرض ذات الرئة.

- وهل تركته مع ثمانية أطفال؟

- أحدهم مات طفلاً، واثنان قُتلا في الحرب الأخيرة، وكان هناك ثلاث بنات إحداهن تزوجت ورحلت إلى أستراليا وماتت هناك، والثانية بقيت عانساً ثم صدمتها سيارة فماتت، والثالثة ماتت قبل سنة أو اثنتين. وما زال من أبنائه اثنان على قيد الحياة: روجر، الولد الأكبر، وقد تزوج ولم ينجب أطفالاً، وفيليب الذي تزوج ممثلة شهيرة فأنجبت له ثلاثة أطفال: صاحبك صوفيا، ويوستيس، وجوزفين.

- وهل يعيشون جميعاً في... ما اسم ذلك البيت؟ «ثري غيلز»؟

- نعم، فقد دُمّر بيت روجر ليونايدز بالقصف في أول الحرب، أما فيليب وأفراد عائلته فإنهم يعيشون هناك منذ عام ١٩٣٧. وهناك الخالة العجوز أخت السيدة ليونايدز، الأنسة دي هافيلاند، التي كانت تشمئز من زوج أختها لكنها عرفت أن من واجبها -بعد موت أختها- أن تقبل دعوته لتعيش عنده وتربي الأطفال.

قال تافيرنر: إنها دائمة الحماسة في عملها لكنها لا تغير رأيها في أحدٍ من الناس، فهي تعارض ليونايدز وتنقد أسلوبه.

قلت: حسناً، يبدو أنه بيت مليء تماماً! فمن تظنه القاتل؟

هز تافيرنر رأسه وقال: الوقت ما زال مبكراً لقول ذلك.

قلت: ما بك يا تافيرنر؟ أنا واثق أنك تعرف القاتل. تحدث

بحرية فنحن لسنا في محكمة يا رجل!

تجههم تافيرنر وقال: نعم، وربما لا تُعقد المحكمة أبداً.

- هل تقصد أنه ربما لا يكون قد قُتل؟

- بل قُتل بلا شك... سُمِّم، لكن إثبات الدليل في أحوال التسمم هذه يتطلب براعة شديدة. قد تشير جميع الوجوه إلى اتجاه واحد. إنها قضية واضحة... جريمة كاملة، لكنني في حيرة... إنها جريمة متقنة جداً.

نظرت إلى العجوز مستغيثاً، فقال ببطء: أنت تعلم -يا تشارلز- أن الحل الواضح في قضايا القتل يكون غالباً هو الحل الصحيح. لقد تزوج العجوز ليونايدز مرة ثانية قبل عشر سنين.

- وهو في السابعة والسبعين؟

- أجل، تزوج فتاة في الرابعة والعشرين!

صفرت بدهشة: ومن هي؟!

- فتاة كانت تعمل في مقهى، محتشمة وحسنة لكنها ضعيفة ومهملة.

- أتكون هي قتلته؟

خاطبني تافيرنر قائلاً: إنني أسألك أنت، فالفتاة قد بلغت الرابعة والثلاثين، وهذه سن خطيرة. وهي فتاة تحب العيش الهادئ، وفي البيت شاب غريب يعلم الأطفال، وهو لم يذهب إلى الحرب لمرضٍ أصاب قلبه، وكانت علاقتهما معاً علاقة حميمة.

نظرتُ إليه متأملاً. كان ذلك نموذجاً قديماً ومألوفاً، تلك

العائلة المتباينة الأفراد ومعها السيدة ليونايديز الثانية التي كانت -حسب كلام أبي- امرأة جديرة بالاحترام. ولكن لا يجدر أن ننسى أن جرائم كثيرة ارتكبت دوماً مستترة بثوب الاحترام.

وسألت تافيرنر: وماذا كان ذلك السم؟ أهو الزرنيخ؟

- لم يأتنا تقرير المختبر بعد، لكن الطبيب يظن أنه سم الإيسيرين.

- هذا مستغرب قليلاً، أليس كذلك؟ من السهل كشف المشتري حتماً.

- كان دواء يتداوى به... لقد كان قطرة عين.

قال أبي: كان ليونايديز مصاباً بالسكري وكان يأخذ حقناً دورية من الأنسولين. كان الأنسولين في أنابيب صغيرة أغطيتها من المطاط، فيوخر الغطاء بإبرة الحقن ثم تُسحب الحقنة وفيها الأنسولين.

قلت مستتجاً: ولم يكن الذي في الزجاجاة الأنسولين بل الإيسيرين، أليس كذلك؟

- تماماً.

- ومن الذي حقنه الإبرة؟

- زوجته.

لقد فهمت الآن ماذا كانت صوفيا تقصد بقولها: «ذلك الشخص». وسألته: وكيف كانت العائلة مع السيدة ليونايديز الثانية؟

- لم تكن جيدة، ونادراً ما تبادلوا الحديث بعضهم مع بعض.

كان كل شيء يتضح أكثر فأكثر، ولكن كان واضحاً أن المفتش تافيرنر لم يكن سعيداً بذلك. فسألته: لا يبدو أنك مقتنع تماماً بهذه الفرضية؟

- لو أنها فعلت ذلك - يا سيد تشارلز - لكان سهلاً عليها أن تستبدل بالقبينة قبينة أنسولين حقيقية بعد ذلك، لا أستطيع أن أفهم لِمَ لَمْ تفعل ذلك؟

- وهل في البيت كثير من الأنسولين؟

- نعم، أوعية ملاءى وأخرى فارغة، ولو أنها فعلته لما استطاع الطبيب كشفه قط لأن جسم الإنسان إذا تسمم بالإيسيرين فمات لا يُعرَف في الأعراض التي تظهر على الجثة إلا قليلاً جداً. أما الذي حصل هنا فهو أن الطبيب قد فحص زجاجة الأنسولين فعرف فوراً أن الذي فيها لم يكن هو الأنسولين.

قلت متأملاً: إذن فإما أن تكون السيدة ليونايدز غبية جداً أو ذكية جداً.

- أنت تقصد...

- ربما راهنت على استنتاج ستصلون إليه بأن أحداً لا يمكن أن يكون بالغباء الذي يبدو لكي يرتكب عملاً كهذا. على أية حال هل يوجد مشبوهون آخرون؟

- كل من في البيت مشبوهون، جميعاً، وقد كان فيه مخزون

كبير من الأنسولين يكفي أسبوعين ، وربما عبثت يد بإحدى القوارير
وتم وضعها لكي تُستعمل في الوقت المقرر.

- وهل يستطيع أي منهم أن يصل إليها؟

- أجل ، فلم تكن في خزانة مقفلة بل كانت تُحفظ على رف
خزانة الأدوية في الحمام ، وكل ساكن في البيت يأتي ويذهب
إليه بحرّية.

- وماذا يدفعهم لقتله؟

تنهد أبي وقال : يا عزيزي تشارلز! كان أريستايد ليونايدز غنياً
جداً ، صحيح أنه خصص مالاً كثيراً لعائلته ، ولكن لعل أحدهم
أراد المزيد.

- لا يوجد أحد يريد أن يكون نصيبه أكبر من الجميع أكثر
من تلك الأرملة ، هل كان صديقها الفتى ذا مال؟

- بل فقيراً مثل فأر الكنيسة.

وفجأة لمعت في ذهني بعض الأفكار. تذكرت عبارة صوفيا
المقتبسة ، وتذكرت فجأة أبيات نشيدنا ونحن صغار في الحضانة:

رجل أعوج مشى مسافة ميل أعوج ،
فوجد شلناً أعوج عند باب أعوج ،
وقطه الأعوج أمسك بفأر أعوج ،
ثم عاشوا جميعاً معاً في بيت أعوج صغير.

قلت أخاطب تافيرنر: كيف وجدت السيدة ليونايدز وما رأيك فيها؟

رد ببطء: إنها ليست سهلة. تبدو هادئة جداً فلا تعرف ما تفكر فيه لكنها تحب العيش الهادئ. أقسم أنني على حق. إنها تذكرني بقطعة، قطعة كسولة كبيرة تهزهر (وهذا لا يعني أنني أكره الققطط)... إننا نسعى وراء الدليل.

نعم، كنا جميعاً نريد دليلاً على أن السيدة ليونايدز قد سمّمت زوجها. صوفيا كانت تريده، وتافيرنر رئيس المفتشين، وكذلك أنا... وكل شيء سيكون حسناً بعد ذلك.

لكن صوفيا لم تكن متأكدة، وأنا لست متأكداً، ورئيس المفتشين مثلنا!

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com